من تراب الطريق! (٢٠٦)

الشجاع ! (*)

لا تدرى حين تطالع قصيدة : " الشجاع " بديوانه " العارف " لشاعرنا المحامى الفقيه العالم الأديب محمد عبد الله محمد - لا تدرى ماذا يريد هذا الشاعر المفكر أن يقول إلاّ إذا تمعنت مفرداته وتراكيبه وتعمقت مبانيه ومعانيه .. يستهلها بقوله :

غَدائرُ الحُورِ لا خُضْرٌ ولا خُصَلُ ... لولا عيونٌ تَرَى أو ناطقٌ يَصِفُ
لقد أَشَاعَ جمالَ الروض واصِفُهُ ... من ضاحك الزهرأو من وابلٍ يكِفُ
وأيْقَظَ القبحَ من نَوْم وحَرَّكَهُ ... ذا خائفٌ فزع أو غاضبٌ أسِفُ
كَسَا الوجودَ وجودا مَنْ تَصَوَّرَهُ ... بالظُّلمِ فيهِ ومنهُ العدلُ ينتصِفُ

* * *

ملأ القداسةَ بالأوصافِ صاحِبُهَا ... ولم يجاوزْ بها الأسماعِ والْحَدَقا
لم يَدْخُلِ الربُّ جُوَّاه فغيَّرَه ... فهما وذوقا على ما فيه أو خَلَقا
الريحُ تَنْقُلُ كثبانا وتتركُهَا ... ولا تبدِّلُ فى صحرائها أُفُقَا
وربما طَمرَتْ نَبْعاً تصادِفُه ... وربما قَتَلتْ طيراً إذا انطلقَا

فى موضع آخر بقصيدة " الشجاع " - يقول محمد عبد الله محمد :

غالى بعقلِىَ عرفانى بقيمته ... فليس يُرْخِصهُ يأسٌ ولا أَمَلُ
لايشربُ ابنىَ من نَهْرى ويرفُضُه ... ويستَقِى غيرهُ مِنِّى وينتهِلُ

(*) المال ٢٠٠٩/٢/٩

تَصُدُّ عقليَّتِي بَيْتِي وتُبْعِدُهُ عنِّي وأحْزَنُ أحياناً وأمتثِلُ
أقولُ ما قالَه قَبْلي أخو شَجَنٍ " وَدِّعْ هريرةَ إنَّ الركْبَ مرتحِلُ

* * *

كم خَمَّنَ الحَائرُ المسكينُ أجْوِبَةً أجابَ فيها على ألغازِ ماضينا
وقسَّمَ الزمنَ الماضي إلى حِقَبٍ ما باشَرَتْ بَشراً أو دَوَّنَتْ دينا
لكنَّها ملَّكتنا ما مَضَى فغدا إرْثاً لنا وتلاقت فيه أيدينا
وصار منا ومن أجزاء حاضرنا نسيرُ في ظِلِّهِ يَعْشُو ويَهدِينا

* * *

ليس الغموضُ عَدُوًّا للحياة ولا يعوق عاطفةً فينا ولا عَمَلاً
وليس فهمُك شرْطاً لانْفتاح فم ولا زيادة ضيف جاءَ أو رَحَلا
ولو فَهِمْتَ لماذا ؟ ما أتَيْتَ هنا وما تضاحَكَ مقْتُولٌ ولا امْتَثلا
من الغُموضِ دخلناها فلا عَجَبٌ إذا خَرَجْنا ولم نفْهم لها عِلَلا

في نسبية أحكامنا ورؤانا وتبعها أفكارنا، يستشهد الشاعر المفكر بالشمس التي هي هي لاتتغير، ولكنها تتغير في أنظارنا تبعا لأوضاعها في مسارها وأوضاع رؤيتنا لها، في ذلك يقول شاعرنا :

لكم تَغَيَّر معنى الشمس مُذْ نُظِرَتْ لأن ناظِرَها يَنْأى ويقْتَرِبُ
وكم تعددت الأشكال واخْتَلَفَتْ مِنْ حَيْثُ تُشْرِقُ أو من حيث تَغْرُبُ
لوحدة الشمس أغْراضٌ تفرِّقها على مصالح تُسْتَصْفَى وتُنْتَخَبُ
زَيْدٌ يرى فِكْرَهُ - فيما يشاهِدُه كم أخْفَتْ الشمسَ في حسبانه سُحُبُ